**آفاق السيميائة :1**

**تمهيد:** إذا جئنا إلى موضوعها فإن السيميائيات وميادين تطبيقها لا تنفرد بموضوع خاص بها، فهي تهتم بكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية العادية شريطة أن تكون هذه الموضوعات جزءا من سيرورة دلالية.

« فالموضوعات المعزولة أي تلك الموجودة خارج نسيج التدلال، لا يمكن أن تشكل منطلقا لفهم الذات الإنسانية أو قول شيء ما عنها»**.­([[1]](#footnote-1))**

«إن كل مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكل موضوعا للسيميائيات، بعبارة أخرى كل ما تضعه الثقافة بين أيدينا هو في الاشتغال علامات تخبر عن هذه الثقافة وتكشف عن هويتها، فالابتسامة والفرح واللباس وطريقة استقبال الضيوف، وإشارات المرور والطقوس الاجتماعية والأشياء التي نتداولها فيما بيننا، وكذلك النصوص الأدبية والأعمال الفنية كلها علامات نستند إليها في التواصل مع محيطنا»**.­([[2]](#footnote-2))**

«فبالإضافة إلى دراستها للنسق اللساني الذي يعد أهم الأنساق وأرقاها، فإن السيميائيات وسعت من دائرة اهتماماتها لتجعل كل الأنساق التواصلية التي يستعين بها الإنسان في خلق حوار مع الآخر موضوعا لدراستها»**.­([[3]](#footnote-3))**

«يتأسس النسق السيميائي على منطق التراتبات انطلاقا من محاكاته لتصميم العلامة اللسانية، ففيه تضاف العلاقة الواصفة إلى علاقات التعيين والإيحاء، ولعل شفافية اللغة كفيلة على جاذبيتها باستثارة التضايقات المتراكمة للتعبير والمحتوى، ومن ثم فإن هوية العلامة لا تتحدد داخل النسق فحسب، بل إن العلامة غالبا ما تستقل بنمطيتها التضايقية فتتلون بأكثر من تعبير، وتضمر أكثر من محتوى»**.­([[4]](#footnote-4))**

« لقد كان الموضوع الرئيس للسيميائيات هو السيرورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة، أي ما يطلق عليه في الاصطلاح السيميائي التدلال (Sémiosis)، والتدلال في التصور الدلالي الغربي هو الفعل المؤدي إلى إنتاج الدلالات وتداولها، إنه سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما باعتباره علامة، فالكلمة أو الشيء أو الواقعة ليست كذلك إلا في حدود إحالتها على سيرورة، فلا شيء يمكن أن يدل من تلقاء ذاته ضمن وجود أحادي في الحدود والأبعاد، فالواحد المعزول كيان لا متناه، ووحده التحقق من خلال محمول مضاف يمكن أن يحد من هذا الامتداد»**.­([[5]](#footnote-5))**

إن الطبيعة التواصلية لغالبية الأنساق الدالة، دفعت ثلة من السيميائيين إلى الربط بين السيميائيات بوصفها علما يدرس أنساق العلامات الدالة وبين وظيفتها التواصلية مقتدين بما قررته اللسانيات من أن التواصل هو عصب الوظيفة اللسانية ومن ثم فهو أساس

الخطاب، وقد كان لهذا الاقتداء أثر استثمار المفاهيم اللسانية للتواصل وتعميمها على مجموع الأنساق الدالة **.­([[6]](#footnote-6))**

فالسيميائية لا تقتصر على دراسة اللغة فقط، بل تتجاوزها إلى كافة الأشكال الرمزية والعلامات المتنوعة سواء كانت علامات بصرية أو صوتية، أو حركات إيمائية، ولذلك كان مجال السيميائية واسعا يشمل أنواع العلامات على اختلافها، ذلك أن الإنسان قد حول كل شيء من حوله إلى رموز وإشارات في محاولة منه للتحرر من الواقع والتجارب المباشرة وسموا عن باقي الكائنات التي تتقوقع داخل طبيعة جامدة لا تستطيع أن تعيد إنتاج نفسها.

« تقوم السيميائيات على دراسة العلامات على وفق نسق جديد يمنحها شكلا جديدا ويضفي عليها من المعاني ما لم تكن لتكتسبه في أحاديتها المفردة»**.­([[7]](#footnote-7))**

فهي تكتسب معان مضافة ودلالات جديدة حينما تتعالق مع النصوص، فالسيميائيات هي كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعي، إنها تدريب للعين على النقاط الضمني والمتواري والممتنع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق النصية**.­([[8]](#footnote-8))**

لقد قدمت السيميائيات مقترحات هامة عملت على نقل القراءة النقدية من وضع الانطباع والانفعال العرضي الزائل والكلام الإنشائي الذي يقف عند الوصف للوقائع إلى التحليل المؤسس معرفيا وجماليا، فالنصوص كل النصوص كيفما كانت موادها، يجب النظر إليها باعتبارها إجراء دلاليا لا تجميعا لعلامات متنافرة**.­([[9]](#footnote-9))**

فبالإمكان الحديث عن سيميائيات للمسرح وسيميائيات للصورة الفوتوغرافية وأخرى للإشهار، كما يمكن أن نتحدث عن سيميائيات "لليومي" وأخرى للخطاب السياسي، وثالثة للسرد، ورابعة للشعر...الخ والأكيد أن هذه التصنيفات المتنوعة لا تعود إلى طبيعة المعاني التي تنتجها الأشكال التعبيرية المختلفة فالمعاني لا تتحدد بجواهرها، بل تعود إلى الإكراهات التي يفرضها نمط بناء كل شكل تعبيري على حدة**.­([[10]](#footnote-10))**

لقد بذل السعيد بنكراد مجهودا ملحوظا في مجال السيميائيات، فقد عرف بهذه الأخيرة بعد أن استوعبها انطلاقا من مصادر غربية، بواسطة الترجمة، ولم يقتصر مجهوده على الترجمة فقط، بل إنه قدم اجتهادات شخصية منها كتابه المعنون بـ "سيميائيات الصورة الإشهارية". وهذه الأخيرة هي فرع من السيميائيات العامة، وله أيضا "السيميائيات والتأويل مدخل لسيميائيات ش.س.بورس"**.­([[11]](#footnote-11))**

الإشهار سلوك اجتماعي وممارسة اقتصادية، فقد جاء ظهور الصورة الإشهارية استجابة لمستلزمات اقتصاد السوق الذي اعتمد ولا زال يعتمد على الفلاحة والصناعة والتجارة وعرض السلع والخدمات، وحين فطن الدارسون لأهميتها، تم إخضاعها لدراسات وأبحاث علمية وفنية وتطبيقية، كالنظرية السيكولوجية، والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية والقانونية والسيميائية...الخ.

ففي الوقت الحاضر يتم الحديث ليس فقط عن النظرية السيميائية التي تعني بكل ما تحبل به الصورة الإشهارية من معنى، والتي تستعمل من أجل إقناع المتلقي والتأثير عليه ذهنيا ووجدانيا وحركيا، بل تمت الاستعانة بلسانيات الخطاب في شقها التداولي، تلفظا ودلالة وتداولا لتحقيق التواصل وتحصيل المنافع، غير أنه يمكن الاستفادة من كل تلك النظريات المتعلقة بالإشهار حسب السياق والمقصدية التداولية**.­([[12]](#footnote-12))**

وتوجد أيضا سيميائيات للسينما، حيث يقترن الحديث عن سيميائيات الخطاب السينمائي بأعمال "كريستيان ميتز""C.metz"، فقد جاءت سيميائيات السينما متأخرة جدا مقارنة بالمجالات التطبيقية الأخرى.

ومن الإشكاليات التي صادفت "ميتز" حين تحليله السيميائي للخطاب السينمائي يتعلق بإشكالية الخدعة في السينما، وهو الإشكال الذي حاول أن يعالجه عبر تقسيم الخدعة السينمائية إلى ثلاثة مستويات وهي **([[13]](#footnote-13))**:

* على مستوى الكاميرا(التقاط الصورة)
* على مستوى المشهد السينمائي (عمل الممثلين).
* على مستوى تركيب الفيلم الذي يمكن من تصنيف الحمولة الدلالية للخدعة السينمائية

كما أن هناك سيميائيات المسرح؛ "التي بكونها تدرس مختلف أنواع العلامات الموجودة في العرض المسرحي، وقد أدى اهتمام السيميائيات بالمسرح إلى تشعب الدراسة واندراجها في عوالم متعددة، إلى درجة أنه لا يمكن الحديث عن سيميائيات مسرحية بصيغة المفرد، وإنما هناك فيض زاخر من النظريات السيميائية التي يختلف بعضها عن الآخر ولكن هدفها الرئيسي هو معاينة الدلالة"**.­([[14]](#footnote-14))**

ولنا حديث أيضا على سيميائيات للصورة الإشهارية؛ فالصورة في معناها البسيط تعتبر شيئا محسوسا متعدد المعاني، ففي الحياة اليومية نقول ( هو مثل صورة أبيه، أي يشبهه كثيرا، إن الصورة تشتمل على علامات ورموز وقواعد ودلالات لها جذور في التمثلات الاجتماعية والفكرية السائدة في المجتمع، وتكمن سيميائية الصورة هنا في فهمنا لهذه الرموز والقواعد والدلالات الموجودة بالصورة، وبالتالي إمكانية قراءتها ومعرفة دلالاتها، وبمعنى آخر التعرف على سيميائية الصورة، حيث إن سيميولوجية الصورة هي

جزء من السيميولوجيا بمفهومها العام، وهي مثل سيميولوجية الموضوعات أو اللسانيات لأن السيميولوجيا تدرس وتهتم بالعلامات اللغوية وغير اللغوية.­([[15]](#footnote-15))

يعد "بارث" أول من طبق منهجية في التحليل السيميولوجي للصورة وذلك سنة 1964م، وبهذا التاريخ نشأت بالفعل سيميولوجية الصورة أو بما يسمى أيضا السيميولوجية غير اللغوية.

في مجال الصورة نلحظ أن هناك رابطا بين اللغة والصورة يتمثل في الدال والمدلول والرسالة في حين هناك أيضا فارق كبير بينهما يتمثل في انفراد اللغة الطبيعية بالخاصية الصوتية التي تجبر الرسالة اللغوية على الاشتغال في الزمن بحيث يستحيل خروج وحدتين صوتيتين في نقطة زمنية واحدة ضمن السلسلة الكلامية، أما الصورة فتظهر كخطاب حامل لمجموعة رسائل متزامنة الحضور على الصفحة.­([[16]](#footnote-16))

لاشك أن الصورة أصبحت من أكثر وسائل الاتصال تعبيرا عن الإنسان، بل إن العصر الحديث هو عصر الصورة حقا، وتتساوى في هذه الصورة الثابتة أو المتحركة حيث نتأمل ما توصل إليه هذا المجال من العلوم نجد التطور مذهلا بالمقارنة مع فترة ظهوره وهي قرن من الزمن، ولم تتضح المعالم التقنية والفنية للصورة إلا بعد أن تمكن مجموعة من الدارسين من تحديد القوانين المتحكمة فيها، لقد كان الهدف الأساس من نشر واستعمال الصورة الفوتوغرافية الثابتة المحافظة على تاريخ الإنسانية وقنص لحظة من لحظات الحياة على شكل مرآة عاكسة للحياة.­([[17]](#footnote-17))

يؤكد الناقد سعيد بنكرد في كتابه "سيميائية الصورة الإشهارية" أنه لا يمكن أن يكون موضوع الصورة "واقعا" مباشرا تدركه العين دون وسائط، فالمعطى موجود خارج

الصورة وخارج العين التي تصوغها، إنها تستثير فيها وراء المرئي المباشر، سلسلة من الانفعالات التي تهرب من الملموس لتختبئ في الرمزي، الذي يستعصي عادة على ضوابط العقل ومنطقه وتلك حالة كل الانفعالات. ويضيف أيضا قائلا في هذا الصدد أن الانفعال والتعليق لا يحتكمان للعصب نفسه، وذلك أن الخطاب يعلق على الأشياء من خارجها، أما الانفعال فهو بمثابة طاقة تعبيرية تجاهد الكلمات على ترويضها.­([[18]](#footnote-18))

1. **-()** سعيد بنكراد: **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، مصدر سابق، ص 18. [↑](#footnote-ref-1)
2. **-()** المصدر نفسه، ص19. [↑](#footnote-ref-2)
3. **-()**سعيد بنكراد: **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، مصدر سابق، ص20. [↑](#footnote-ref-3)
4. **-()**عبد القادر فهيم الشيباني: **معالم السينيائيات العامة (أسسها ومفاهيمها)،** ط1،الجزائر،2008، ص11. [↑](#footnote-ref-4)
5. **-()**سعيد بنكراد: **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، مصدر سابق، ص22. [↑](#footnote-ref-5)
6. **-()**عبد القادر فهيم الشيباني: مرجع سابق، ص21-22. [↑](#footnote-ref-6)
7. **-()**طلال خليفة سلمان: **علامات الوجوه في المشهد الأخروي في القرآن الكريم**، مجلة كلية الآداب، العدد102، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ص272. [↑](#footnote-ref-7)
8. **-()**المرجع نفسه: ص 273. [↑](#footnote-ref-8)
9. **-()**إبراهيم محمد سلمان: مدخل إلى مفهوم سيميائية الصورة، مجلة الجامعة، كلية الآداب، العدد السادس عشر، مج2، أفريل 2014، جامعة الزاوية، ص161. [↑](#footnote-ref-9)
10. **-()**سعيد بنكراد:**السيميائيات مفاهيمها تطبيقاتها**، مصدر سابق، ص11. [↑](#footnote-ref-10)
11. **-()**أحمد بلخيري:**سيميائيات المسرح**، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء،2010، ص15. [↑](#footnote-ref-11)
12. **-()**عمر الرويضي: مرجع سابق، ص50. [↑](#footnote-ref-12)
13. **-()** عمر الرويضي: مرجع سابق، ص 51-52. [↑](#footnote-ref-13)
14. **-()**المرجع نفسه: ص 59. [↑](#footnote-ref-14)
15. **-()**إبراهيم محمد سلمان: مرجع سابق، ص174. [↑](#footnote-ref-15)
16. **-()**المرج نفسه: ص 175. [↑](#footnote-ref-16)
17. **-()**بغداد أحمد بلية: **سيميائيات الصورة(مقالات حول علاقة المتلقي بالمسرح والسينما والتلفزيون)**، منشورات دار الأديب،(د ط)،(د ت)، ص9. [↑](#footnote-ref-17)
18. **-()**سعيد بنكراد: **سيميائية الصورة الإشهارية (الإشهار والتمثيلات الثقافية)**، إفريقيا الشرق، المغرب،2006، ص32. [↑](#footnote-ref-18)